إِذَا مَـا الْـعَـالِـمُـونَ عَـرَوْكَ قَـالُـوا
أَفِـدْنَـا أَيُّـهَـا ٱلْـحِـبْـرُ الْإِمَـامُ[١]
إِذَا مَـا الْـمُـعْـلِـمُـونَ رأَوْكَ قَـالُـوا
بِـهٰـذَا يُـعْـلَـمُ الْـجَـيْـشُ الـلُّـهَـامُ[٢]
لَـقَـدْ حَـسُـنَـتْ بِـكَ الأَوْقَـاتُ حَـتّـى
كَـأَنَّـكَ فـي فَـمِ الـدَّهْـرِ ابْـتِـسَـامُ[٣]
وَأُعْـطِـيـتَ الَّـذِي لَـمْ يُـعْـطَ خَـلْـقٌ
عَـلَـيْـكَ صَـلَاةُ رَبِّـكَ وَالـسَّـلَامُ[٤]

لا تسلم الأعداء منه ويسلم

يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب:

[الطويل]

نَـرَى عِـظَـمـاً بِـالْـبَـيْـنِ وَالـصَّـدُّ أَعْـظَـمُ
وَنـتَّـهِـمُ الْـوَاشِـيـنَ وَالـدَّمْـعُ مِـنـهُـمُ[٥]

---

(١) عروك: قصدوك طالبين جواك. الحِبر، بكسر الحاء: العالم. يُنوّه الشاعر بما عليه ممدوحه من علم ومعرفة بحيث يقصده العلماء ليفيدوا ويستزيدوا منه علماً ومعرفة، وهم يعلنون صراحة بأنه حبرهم وأعلمهم.

(٢) المعلمون: الأبطال الذين يتّخذون لأنفسهم علامة يفرّقون بها أنفسهم عمن سواهم من الجند. الجيش اللهام: الجيش اللجب العظيم. يُشيد الشاعر بشجاعة ممدوحه، إنه يتّخذ لنفسه علامة تميّزه عمن سواه من جنده، فيقصده الأعداء، فيكونون من صرعاه، والجيش الذي ينتمي إليه يكون بدوره معلّماً ومميّزاً عمّن سواه من الجيوش لأن قائده أشجع الشجعان.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٤. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأنه فلتة الزمان أشرقت أنواره، فإذا بالسعادة تعمّ الكون، وإذا بالحياة تبدو بسمة على فم الزمان بعدما ادلهمّت أفق حياة البشر، فإذا بالبسمة تعمّ الوجود والبشر.

(٤) لقد خصّ اللّه سبحانه وتعالى الممدوح بما ميّزه عن سائر الخلق بالعلم والتقى وكرم الأخلاق والجود والشجاعة، لذا يدعو له الشاعر برعاية اللّه تعالى لتنعم روحه فيرضى السلام عليه.

(٥) البين: البعد. الواشي: النمام. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بالغزل. الهجر والبعد =

وَمَـنْ لُـبُّـهُ مَـعْ غَـيْـرِهِ كَـيْـفَ حَـالُـهُ
وَمَـنْ سِـرُّهُ فـي جَـفْـنِـهِ كـيْـفَ يَـكْـتُـمُ (١)
وَلَـمَّـا الْـتَـقَـيْـنَـا وَالـنَّـوَى وَرَقـيـبُـنَـا
غَـفُـولَانِ عـنَّـا ظِـلْـتُ أَبْـكِـي وَتَـبْـسِـمُ (٢)
فَـلَـمْ أَرَ بَـدْراً ضَـاحِـكـاً قَـبْـلَ وَجْـهِـهَـا
وَلَـمْ تَـرَ قَـبْـلـي مَـيِّـتـاً يَـتَـكَـلَّـمُ (٣)
ظَـلُـومٌ كَـمَـتْـنَـيْـهـا لِـصَـبٍّ كَـخـصْـرِهـا
ضَـعِـيـفِ الـقُـوَى مِـنْ فِـعْـلِـهَـا يَـتَـظـلَّـمُ (٤)
بـفَـرْعٍ يُـعـيـدُ الـلّـيْـلَ وَالـصُّـبْـحُ نَـيِّـرٌ
وَوَجْـهٍ يُـعـيـدُ الـصُّـبْـحَ وَالـلّـيْـلُ مُـظْـلِـمُ (٥)

= عن حبيبة الشاعر يُؤلمه ويُزعج مرقده. ولكنه قد ينتهي في حال القرب، والمشكلة قائمة لا حلّ لها، إنه الصدود والتمنّع من جهة حبيبته، فثمّة من عمل على التفريق بينهما، إنهم الوشاة، وما الذي حملهم على ارتكاب هذه الحماقة؟ إنهم يهيمون حبًّا بحبيبة الشاعر.

(١) اللبّ: العقل. يكشف الشاعر ما ألمّ به من حزن؛ فقلبه معلّق بحبّ من لا يهتمّ به، فحاله لا تسرّ حبيباً فضلاً عن عدوّ ويترجم إحساسه جفن دامع، فلا يستطيع ردّه، إنه يكشف سرًّا دفيناً، إنه الحبّ.

(٢) و (٣) لقد كان لقاء بين الشاعر وحبيبته، وقد غفلت العيون، ونام الرقباء، فلا من وشاة ولا من أعداء، فالجوّ مؤات لكشف ما في نفس الشاعر، ولكن الدموع حالت دون الحديث وبثّ الشوق، فكانت الدموع تعبيراً حسياً عمّا يُعانيه، بينما كانت الحبيبة تبتسم مستغربة ممَّا ترى ولا تجد له تفسيراً. ولقد تمكّنت الدهشة من الشاعر فقد رأى بدراً مطلّاً يشعّ ضحكاً وفرحاً، ولم ير ذلك من قبل، بينما كانت الحبيبة ترى ميّتاً قد ولّهه الحبّ، فإذا به ينطق بأرقّ لغة حبّ يُعاني منه حرماناً وصدوداً.

(٤) المتنان: ما على جانبي الصلب أي عظم الظهر. الصبّ: العاشق المتيّم. يتظلّم: يتشكّى. يصف الشاعر حبيبته بضخامة قفصها الصدري الذي يستند على خصرها النحيل؛ إنه نحيل كعاشقها، ضعفت قواه، ولطالما اشتكى الشاعر من سوء معاملتها له وتظلّم لإهمالها إيّاه.

(٥) الفرع: الشعر. يُردف الشاعر متيّماً وصف حبيبته وصفاً ماديًّا، فشعرها الأسود بسواد =

فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِياً
وَلٰكِنَّ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمْرَمُ(١)
أَثَافٍ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى
وَرَسْمٌ كَجِسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمُ(٢)
بَلَلْتُ بِهَا رُدْنَيَّ وَالْغَيْمُ مُسْعِدِي
وعَبَرْتُهُ صِرْفٌ وَفِي عَبْرَتِي دَمُ(٣)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا انْهَلَّ فِي الْخَدِّ مِنْ دَمِي
لَمَا كَانَ مُحْمَرًّا يَسِيلُ قَأَسْقَمُ(٤)
بِنَفْسِي الْخَيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْعَةٍ
وَقَوْلَتُهُ لِي بَعْدَنَا الْغُمْضَ تَطْعَمُ(٥)

= الليل يسترسل مسترخياً بهدوء، ونور وجهها يبثّ إشعاع جمال نيّر، فإذا بالصبح ينبلج من خلال خصلات شعر أسود كأنه الليل ممَّا ينمّ عن شباب نضر بهيج.

(١) الجيش العرمرم: الكثير العدد. رغم حبّ الشاعر لحبيبته، فإنها جعلت قلبه فارغاً موحشاً، رغم ما يعتمل فيه من حبّ عظيم، إنه بمثابة جيش معطل القدرات والقوى أمام سحرها.

(٢) الأثافي، الواحد أثفية: الأحجار تُنصب تحت القدر. الفؤاد: القلب. الصلى: اللهب. الرسم: بقايا الأطلال. يصف الشاعر ما حلّ به من جرّاء ذلك الحبّ. لقد رحلت حبيبته مع قومها، وتركت آثاراً في تلك الديار هامدة لا حياة فيها، فالأثافي مات فيها اللهيب، واللهب في قلبه قويّ يأكل مشاعره وأحاسيسه، ورغم ذلك فهي تتّقد اشتعالاً، ويُتابع الشاعر رسم صورة حزينة لتلك الديار إنها كجسمه قد تهدّمت وانحلّت عُرى تماسكها فتقطّعت أوصالها.

(٣) الردن: الكمّ. الغيم: السحب. مسعدي: معينني. العبرة، بفتح العين: الدمعة. صرف: خالص من أية شائبة. لقد وقف الشاعر على تلك الأطلال، والجوّ ماطر، ينهمر الماء من السماء لم يُكدّر صفوه ما يشوبه، وفي نفس الوقت كانت دموع الشاعر حمراء مُزجت دماً تعبيراً عن ألمه وما حلّ بها من حزن.

(٤) انهل: انهمر وسال. يُردف الشاعر واصفاً دموعه الحمراء التي سالت على وجنتيه، وقد اتَّخذَت لون الدم الأحمر تعبيراً عمّا حلّ به من مرض، فأحاله هزيلاً لشدّة أسفه وحزنه.

(٥) الهجعة: الغفوة. يذكر الشاعر ما دار بينه وبين طيف حبيبته، وقد حلّ ضيفاً عليه، في =

سَلَامٌ فَلَوْلَا الْخَوْفُ وَالْبُخْلُ عِنْدَهُ
لَقُلْتُ أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمُسَلِّمُ(١)
مُحِبُّ النَّدَى الصَّابِي إِلَى بَذْلِ مَالِهِ
صُبُوًّا كَمَا يَصْبُو الْمُحِبُّ الْمُتَيَّمُ(٢)
وَأُقْسِمُ لَوْلَا أَنَّ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ
لَهُ ضَيْغَماً قُلْنَا لَهُ أَنْتَ ضَيْغَمُ(٣)
أَنَقْصُهُ مِنْ حَظِّهِ وَهْوَ زَائِدٌ
وَنَبْخَسُهُ وَالْبَخْسُ شَيْءٌ مُحَرَّمُ(٤)
يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ لَا الْكَفُّ لُجَّةٌ
وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مِخْذَمُ(٥)

= إحدى لياليه، وقد استسلم لنومه، فكان بينهما عتاب يستغرب منه كيف يستطيع النوم، وقد فارقه من يُحبّ، وها هو ماثل أمامه؟

(١) يتخلّص الشاعر من الغزل إلى مدح أبي حفص الممدوح. يُردف الشاعر حديثه ناعياً على الخيال الجبن والبخل لأنه لا يجود بما يرجوه منه من لقاء بلا خوف ولحمله ذلك على الابتهاج والفرح بلقاء أبي حفص يسلّم عليه.

(٢) الندى: العطاء. الصابي: المشتاق. المتيّم: العاشق الولهان. يصف الشاعر ممدوحه بولعه الشديد بالإنفاق وميله إلى بذل ماله في وجوه الخير المختلفة، على المحتاجين من أوليائه ومواطنيه؛ إنه شوق لديه كشوق محبّ إلى حبيبه.

(٣) الضيغم: من أسماء الأسد. ينوّه الشاعر بعظم شجاعة ممدوحه فيُقسم بحيث إن كلّ شعرة فيه بمثابة أسد، لذا فهو مجموعة أسود تتمثل بأسد واحد.

(٤) بخس: نقص. يُردف الشاعر حديثه عن قوّة شجاعة ممدوحه، فلو أنه شبّه شجاعته بشجاعة الأسد، فقد بخسه حقّه، لأنه أقوى وأشجع من الأسد، وفي ذلك ظلم، وبخس المرء حقه محرّم شرعاً.

(٥) يجلّ: يعلو، ويسمو. اللجّة: معظم الماء. الضرغام: من أسماء الأسد. المخذم: السيف البتّار. يمدح الشاعر بالجود، فمن الظلم أن يُشبّه كفّه بالبحر، لأنه أكرم منه، والبحر قد يبخل في حال هيجانه، فيرعب البحّارة ويمتنعون عن خوضه خلاف الممدوح، فإنه يجود في كلّ حال. والممدوح شجاع قوي فلا يُمكن تشبيهه بالأسد، فالأسد حيوان أولاً وآخراً، والممدوح إنسان يمتاز فضلاً عن شجاعته بحسن ذكائه =

وَلَا جُـرْحُـهُ يُـؤْسَـى وَلَا غَـوْرُهُ يُـرَى
وَلَا حَـدُّهُ يَـنْـبُـو وَلَا يَـتَـثَـلَّـمُ(١)
وَلَا يُـبْـرَمُ الأمْـرُ الّـذِي هُـوَ حَـالِـلٌ
وَلَا يُـحْـلَـلُ الأمْـرُ الَّـذِي هُـوَ مُـبْـرِمُ(٢)
وَلَا يَـرْمَـحُ الأذْيَـالَ مِـنْ جَـبَـرِيَّـةٍ
وَلا يَـخْـدُمُ الـدُّنْـيَـا وَإيَّـاهُ تَـخْـدُمُ(٣)
وَلَا يَـشْـتَـهِـي يَـبْـقَـى وَتَـفْـنَـى هِـبَـاتُـهُ
وَلَا تَـسْـلَـمُ الأعْـدَاءُ مِـنْـهُ وَيَـسْـلَـمُ(٤)
أَلَـذُّ مِـنَ الـصَّـهْـبَـاءِ بِـالْـمَـاءِ ذِكْـرُهُ
وَأَحْـسَـنُ مِـنْ يُـسْـرٍ تَـلَـقَّـاهُ مُـعْـدِمُ(٥)

= وقوّة حيلته إذا ضاقت عليه المداخل والمخارج في الأزمات الصعبة، بفضل رأيه وحصافته وحسن تدبيره.

(١) يُؤسى: يُداوى. الغور: العمق. ينبو: يكلُّ. تثلم: تكسّر حدّه. يُردف الشاعر مدحه لممدوحه؛ فإذا التقى خصمه في الميدان، فسيفه ماض بعزيمته يغور في الخصم، فلا شفاء له إلّا القبر، والممدوح يمتاز بحسن الرأي والحصافة، إنه عميق التفكير في العواقب ويُحسن التخلّص منها، كما أنه ماضي العزيمة كالسيف يبرم الأمر دون تردّد، فلا يُصيبه أدنى مكروه.

(٢) يُردف الشاعر، دلالة على مضاء همّة ممدوحه، أنه إذا أبرم أمراً مضى في تحقيقه، فلا يُردّ مهما عظمت المصاعبُ، فيُحقّق ما أراد، وإذا قرّر شيئاً، فإنه نافذ لا مرد له، ولا يتراجع عمَّا أبرمه.

(٣) الرمح: الرفس بالرجل، الجبريَّة: التكبر. يمدح الشاعر في ممدوحه التواضع الجمّ، إنه لا يتيه في مشيه، ويمشي كالمتجبّر، بل مشيه متّزن، لأنه في الواقع لا يعمل من أجل رفعة شأنه، لأن الدنيا أتت إليه راغمة، تسوق إليه كلّ ما يرغب ويتمنّى من مال وجاه وقوّة.

(٤) يُنوّه الشاعر بحبّ ممدوحه للعيش، فعيشه يرتبط به حياة الكثيرين الذين ينعمون بعطاياه ويحصلون على جوده فيُغنون هباته، وهو يُسرّ لذلك، كما أنه سبب في هلاك أعدائه على يديه، لذا يبقى سالماً من الأذى.

(٥) الصهباء: من أسماء الخمرة. اليسر: الغنى. المعدم: الفقير، يرى الشاعر أن ذكر =

وَأَغْرَبُ مِنْ عَنْقَاءَ فِي الطَّيْرِ شَكْلُهُ
وَأَعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ مِنْهُ يُحْرَمُ(١)
وَأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ الأَيَادي أَيَادِياً
مِنَ الْقَطْرِ بَعْدَ الْقَطْرِ وَالْوَبْلُ مُثْجِمُ(٢)
سَنِيُّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ
مِنَ اللُّؤْمِ آلَى أَنَّهُ لَا يُهَوِّمُ(٣)
وَلَوْ قَالَ هَاتُوا دِرْهَماً لَمْ أَجُدْ بِهِ
عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دِرْهَمُ(٤)
وَلَوْ ضَرَّ مَرْءاً قَبْلَهُ مَا يَسُرُّهُ
لَأَثَّرَ فِيهِ بَأْسُهُ وَالتَّكَرُّمُ(٥)

= ممدوحه يلذّ للنفوس أن تتداول سيرته لما فيها من عبرة ومأثرة فتتغنى بها الأجيال وتتناقلها الأمم، ومن أثر ذلك أنّ الفقير يأنس لها ويُسرّ.

(١) العنقاء: طائر خرافي عند العرب. المسترفد: طالب العطاء. يُنوّه الشاعر بتفرّد ممدوحه، فلا يُوجد في الخلق شبيه له مثله مثل العنقاء يتناول الناس ذكرها ولا يرون لها وجوداً، لأنها من عالم الخرافة، فمهما حاولوا البحث عنها، فلن يعثروا لها على وجود. أما كرمه فلا يُوجد له مثيل، فهو لا يحرم مخلوقاً عطاءً.

(٢) الأيادي: النعم. القطر: المطر. الوبل: المطر الغزير. المثجم: المستمرّ الكثير. يمدح الشاعر ممدوحه باستمرار جوده، فلا ينقطع مدده، بل إنه يتوالى دون توقّف، وأياديه تفوق نعم غيره ممن يدّعي الكرم؛ فوابله يدرّ بكثرة واستمرار.

(٣) السنيّ: الشريف. اللؤم: خسة الطبع. آلى: أقسم. التهويم: هزّ الرأس من شدّة النعاس. يمدح الشاعر ممدوحه بنبل أخلاقه وسموّها، فليس في طبعه خسّة، حتى إنه لو ظنّ أن إغماضة عينه أمام ضيفه لأقسم على نفسه ألّا ينام وتماسك احتراماً لنفسه وجليسه.

(٤) ومن مغالاة الشاعر أن ممدوحه نثر دراهمه في أيدي الناس، فلو طلب منهم أن يعثروا على درهم واحد لم تمسّه يده لم ينثره فيهم لما أمكنهم أن يجدوه.

(٥) يمدح الشاعر ممدوحه بالجود وقوّته، وهو يعتبر ذلك من دواعي سروره، فهو لا يضرّه ذلك أبداً، يتكرّم على الخلق، وقد يجد بعض البخلاء في ذلك ما يكدّره ويكشف بخله للناس، كما أن شجاعته تكشف للجبناء عن ضعفهم فيحسدونه على ما يُميّزه عنهم.

يُـرَوِّي بِـكَـالْـفِـرْصَـادِ فِـي كُـلِّ غَـارَةٍ
يَـتَـامَـى مِـنَ الْأَغْـمَـادِ تُـنْـضَـى فَـتُـوتِـمُ[١]
إِلَـى الْـيَـوْمِ مَـا حَـطَّ الْـفِـدَاءُ سُـرُوجَـهُ
مُـذُ الْـغَـزْوِ سَـارٍ مُـسْـرَجُ الْـخَـيْـلِ مُـلْـجَـمُ[٢]
يَـشُـقُّ بِـلَادَ الـرُّومِ وَالـنَّـقْـعُ أَبْـلَـقٌ
بِـأَسْـيَـافِـهِ وَالْـجَـوُّ بِـالـنَّـقْـعِ أَدْهَـمُ[٣]
إِلَـى الـمَـلِـكِ الـطَّـاغِـي فَـكَـمْ مِـنْ كَـتِـيـبَـةٍ
تُـسَـايِـرُ مِـنْـهُ حَـتْـفَـهَـا وَهْـيَ تَـعْـلَـمُ[٤]
وَمِـنْ عَـاتِـقٍ نَـصْـرَانَـةٍ بَـرَزَتْ لَـهُ
أَسِـيـلَـةِ خَـدٍّ عَـنْ قَـرِيـبٍ سَـتُـلْـطَـمُ[٥]

---

(١) الفرصاد: ثمر التوت الأحمر. قصد الشاعر باليتامى السيوف. تنضى: تُسلّ. وممَّا يدلّ على شدّة بأس الممدوح أنه يُروّي سيوفه العطشى من دماء الأعداء فترتوي بدمائهم بلون الفرصاد، عندما يجرّدها من أغمادها، فتجول على رؤوس أعدائه فيُيتم أولادهم.

(٢) يُشيد الشاعر بعمل الممدوح على فكّ أسرى المسلمين وإعادتهم إلى الحرّية، ودفع الفدية عن رقابهم، وهو لا يتوانى يقود الحملات على بلاد الروم دون انقطاع، فخيوله على استعداد لغزو ديارهم.

(٣) النقع: الغبار. الأبلق: ما اختلط الأبيض فيه بالسواد. الأدهم: الأسود. يُردف الشاعر متمّماً حديثه عن حملات ممدوحه؛ إنه يتوغل في بلاد الروم، وفرسانه يُثيرون الغبار بسيوفهم ورماحهم المشرعة، وقد امتازت ألوانها بلون الغبار المعتم المتصاعد في السماء.

(٤) الكتيبة: الفرقة من الجيش. الحتف: الموت. يُردف الشاعر حديثه أن غاية تلك الحملات التصدّي لملك الروم الظالم المعتدي، يودّ الممدوح ردعه فإذا به يُواجه بجيوشه، وهي على يقين أنها طعم سهل لسيوفه، وكأنها تنتحر لتحمي ملكها، فتكون وقوداً سهل الاحتراق.

(٥) العاتق: الشابّة البكر. نصرانة: يقصد بأنها نصرانية. الخدّ الأسيل: الطويل الناعم. ومن آثار تلك الحروب أن أسيرات كثيرات في ميعة الصبا من الأبكار الجميلات =

صُفُوفاً لِلَيْثٍ فِي لُيُوثٍ حُصُونُهَا
مُتُونُ المَذَاكِي وَالْوَشِيجُ المُقَوَّمُ(١)
تَغِيبُ المَنَايَا عَنْهُمُ وَهْوَ غَائِبٌ
وَتَقْدَمُ فِي سَاحَاتِهِمْ حِينَ يَقْدَمُ(٢)
أَجِدَّكَ مَا تَنْفَكُّ عَانٍ تَفُكُّهُ
عُمَ بْنَ سُلَيْمَانَ وَمَالٌ تُقَسِّمُ(٣)
مُكَافِيكَ مَنْ أَوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ
يَداً لَا تُؤَدِّي شُكْرَهَا الْيَدُ وَالْفَمُ(٤)
عَلَى مَهَلٍ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ
لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرْحَمُ(٥)

= يمثلن بين يدي الممدوح، وقد لطمن خدودهنّ، وهنّ يشعرن بالخزي والعار ومذلّة الأسر، وممّا يزيدهن ألماً أنهنّ يتلقين الصفع والإهانة.

(١) الليث: من أسماء الأسد. المتون، الواحد متن: الظهر. المذاكي: الخيول المسنّة. الوشيج: ضرب من الشجر تتَّخذ من قضبانه الرماح. يصف الشاعر، فالممدوح يتصدّر المجلس كالأسد، ويُحيط به حاشيته كأنهم أسود يمتطون جيادهم من المذاكي التي تآلفت مع فرسانها، وقد تسلّحوا بالرماح. بينما يستعرض الممدوح صفوف الأسيرات.

(٢) المنايا، الواحد منيّة: الموت. ديدن الممدوح مع الروم، أنهم، في حال تركهم وحالهم، فهم في أطيب عيش، وقد غاب عنهم الموت والتنكيل، ولكن الأمر ينعكس إذا قدم الممدوح بجيوشه فهنا الكارثة، فقد أقبل الموت بمعدّاته وأسبابه يحصد فيهم قتلاهم ويسبي سراريهم ويأسر جنودهم.

(٣) الجِدّ، بكسر الجيم: الاجتهاد في الأمر. العاني: الأسير. عُمَ: ترخيم عمر. يمدح الشاعر ممدوحه بالمضي في ما انتدب نفسه للقيام به، إنه يعمل على فكّ أسرى المسلمين، وكذلك يجود بأمواله على كلّ محتاج من بني قومه.

(٤) أوليت: أعطيت. اليد: رمز القوّة. يدعو الشاعر أن يُجازي اللَّه عزّ وجلّ ممدوحه خيراً وقوّة في دنياه وآخرته، لأنه عمل على تقوية دين رسوله ﷺ، فالشكر باليد واللسان من قبل البشر لا يكفي، ولكن شكر خالقه سبحانه خير من شكر خلقه.

(٥) يطلب الشاعر من ممدوحه أن يرفق بنفسه، وأن يُبقي على شيء من ماله، فجوده يعمّ الخلق بلا تمييز، كما أنه يُغامر في قتاله الأعداء، والمسلمون بحاجة إلى قائد يحمي ويصون بلادهم، والناس يرأفون به ويرحمونه.

مَحَلُّكَ مَقْصُودٌ وَشَانِيكَ مُفْحَمٌ
وَمِثْلُكَ مَفْقُودٌ وَنَيْلُكَ خِضْرِمُ(١)
وَزَارَكَ بِي دُونَ المُلُوكِ تَحَرُّجٌ
إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجُزْ لِي التَّيَمُّمُ(٢)
فَعِشْ لَوْ فَدَى المَمْلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ
مِنَ المَوْتِ لَمْ تُفْقَدْ وَفِي الْأَرْضِ مُسْلِمُ(٣)

ورائي وقدامي عداة

اجتاز بمكان يعرف بالفراديس من أرض قنّسرين فسمع زئير الأسد فقال:

[الطويل]

أَجَارُكِ يَا أُسْدَ الْفَرَادِيسِ مُكْرَمُ
فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مُهَانٌ فَمُسْلَمُ(٤)
وَرَائِي وَقُدَّامِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ
أُحَاذِرُ مِنْ لِصٍّ وَمِنْكِ وَمِنْهُمُ(٥)

---

(١) الشانئ: المبغض. المفحم: العاجز عن النطق. النيل: العطاء. الخضرم: الكثير. يمدح الشاعر ممدوحه بصفات إنسانية رفيعة يميل إليها عقول الناس وقلوبهم؛ فالناس يقصدون الممدوح ليجدوا عنده الكرم والرأفة والحبّ والرعاية، وقد خلا الممدوح من كلّ عيب، لذا فلا يجرؤ مخلوق على القدح فيه وذمّه، فالأعداء يشهدون له بصلاحه واستقامته، وذلك لتفرّده بتلك الصفات، ويُضاف إليها كرمه الفيّاض.

(٢) تحرّج: تأثّم. عنّ: بدا. التيمّم: التوضؤ بالتراب في حال عدم وجود الماء. يُخاطب الشاعر ممدوحه منوّهاً بحبّه وإعجابه به دون سائر الملوك، فجميعهم يرغب بمدح الشاعر له، ولكنه فضّله عليهم جميعاً، لشدّة حرجه من الوقوع في شرك إغوائهم له لأنه قد رأى بحراً في أعماقه الخير كلّه والجود فغاص فيه مفضلاً إياه على الرمال المتمثّلة بغيره من الملوك وولاة الأمر.

(٣) فدى: ضحّى. المملوك: العبد. الربّ: السيد. يتمنّى الشاعر لممدوحه دوام العمر وألّا يموت، فسائر المسلمين يودّون أن يفدوه بأنفسهم ما دامت الحياة، لأنهم مملوكون من قبله، وهو سيّدهم.

(٤) و (٥) الفراديس: موضع في بلاد الشام. يُخاطب الشاعر آساد ذلك المكان، وقد أدرك =